مفهوم الحماية الاجتماعية مقاربة سوسيو تاريخية

أ.إسماعيل أيت باسو: طالب باحث بسلك الدكتوراه في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، فريق البحث في أنثروبولوجيا الواحات، جامعة محمد الخامس، الرباط- المغرب.

د. جمال فزة: أستاذ السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، فريق البحث في أنثروبولوجيا الواحات، جامعة محمد الخامس الرباط- المغرب.

أ.شيماء بلخوى: طالبة باحثةبسلك الدكتوراه في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، فريق البحث في أنثروبولوجيا الواحات،جامعة محمد الخامس، الرباط- المغرب.

أ.مصطفى الشيخ: طالب باحث بسلك الدكتوراه في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، فريق البحث في أنثروبولوجيا الواحات،جامعة محمد الخامس،الرباط- المغرب.

ملخص: يناقش هذا المقال مفهوم الحماية الاجتماعية وفق مقاربة سوسيو تاريخية، للبحث في امتداداته وتطوراته عبر الزمن في ظل التحولات التي عرفتها المجتمعات خاصة في القرنين 19 و20 ضمن إطار دولة الرفاه؛ ما فتح المجال لعلماء الاجتماع لاختراق ثنايا المفهوم من وجهة نظر مغايرة للدراسات الاقتصادية والتنمية التي هيمنت على الموضوع في العلوم الاجتماعية. وذلك من خلال القيام بدراسات ميدانية لفهم الأشكال الجديدة للتضامن الاجتماعي، ودراسة مؤسسات الضمان الاجتماعي وبرامج المساعدة الاجتماعية ودورها في محاربة الفقر والهشاشة وأثرها على الأفراد والجماعات؛ ما يؤسس لبناء نموذج نظري يوحد هذه السيرورة في سوسيولوجيا الحماية الاجتماعية مستقبلا.

الكلمات المفتاحية: الحماية الاجتماعية، التضامن الاجتماعي، المساعدة الاجتماعية، الضمان الاجتماعي.

Social Protection Concept

Socio-Historical Approach

Ismail AIT BASSOU: PhD Student in Sociology and Anthropology,Team Research in Anthropology of Oases, Mohammed V University, Rabat, Morocco

Dr. Jamal FEZZA: Professor of Sociology and Anthropology, Team Research in Anthropology of Oases, Mohammed V University, Rabat, Morocco.

Chaimaa BELKHAOUA: PhD Student in Sociology and Anthropology,Team Research in Anthropology of Oases, Mohammed V University, Rabat, Morocco

Mustapha CHEIKH: PhD Student in Sociology and Anthropology, Team Research in Anthropology of Oases, Mohammed V University, Rabat, Morocco

Abstract: This work highlights the social protection concept based on socio-historical approach to investigate its extensions and development through time, it will concern the transformations that societies have known, especially in the 19th and 20th centuries within the welfare state framework; It opened the way for sociologists to penetrate the concept's interstice from a different point of view from economic and development studies that were dominating in the social sciences. This approach is conducted by field studies in order to understand the new forms of social solidarity, social security institution, and social assistance programs. As well as its role to fight poverty, vulnerability and their impact on communities and individuals. Hence, sets the foundation for building a theoretical model that unites this process in sociology of social protection in the future.

Keywords: Social Protection,Social Solidarity, Social Assistance,Social Security.

مقدمة:

إن السوسيولوجيا باعتبارها علم يعنى بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية، سعت من بدايتها إلى مقاربة مجموعة من المواضيع الراهنة لكل مجتمع حسب خصوصيته السوسيو اقتصادية والثقافية والسياسية. كما تقدم مساعدة عملية في تقييم نتائج المبادرات السياسية والبرامج الاجتماعية ، مما فسح المجال للباحثين لمقاربة مواضيع جديدة من بينها الحماية الاجتماعية، التي ظلت حبيسة الدراسات الاقتصادية ودراسات التنمية. وتأتى ذلك عبر الرجوع إلى دراسة تاريخ المجتمعات الإنسانية وتطور أشكال التضامن الاجتماعي، والأنشطة المنظمة المتصلة بحركات الاصلاح الاجتماعي،والخدمات الاجتماعية غير الربحية أو العامة، التي تهدف إلى ضمان نمط حياة أمن وتوفير الوسائل اللازمة للنمو، والتطور وحماية الأفراد والأسر داخل المجتمع(جونديكسون، روبرتشيربل، 2014، ص13).

الشيء الذي يحيلنا إلى السوسيولوجيا التاريخية التي تركز على دراسة المسارات التاريخية والتركيبات الاجتماعية للأفراد والجماعات باعتبارها أساس التحليل الاجتماعي، من خلال فهم المنطق وراء النتائج المقصودة في حياة الأفراد، عبر التفاعل بين الأفعال ذات أهداف معينة والسياقات البنيوية(رايموند هينبوش،أدهم صولي، 2021، ص11). كما أنها مقاربة نقدية ترفض التعامل مع الحاضر ككيان مستقل خارج التاريخ، ولا تستطيع ترسيخه في أماكن زمنية معينة(Dufour, 2016, p. (5؛وتركز أيضا على مقاربة التغير الاجتماعي واكتشاف الأليات والهياكل الاجتماعية التي تسمح للجهات الفاعلة بإحداث تأثير في مجال التنمية الاجتماعية(سوبرت جيري، 2020، ص4).

من هذا المنطلق سنتطرق في هذه الدراسة إلى مفهوم الحماية الاجتماعية ومسارات تطوره بداية من أواخر القرن 19، مرورا بمختلف التحولات البنيوية التي أترث في مضامينه وتحديد معانيه، وإبراز مدى أهميته في النقاش الدائرحول أنظمة الحماية الاجتماعية وأدوراها داخل المجتمعات.

مشكلة الدراسة:

بالنظر إلى أهمية مفهوم الحماية الاجتماعية على المستويين النظري والإمبيريقي في العلوم الإجتماعية، إرتأينا المساهمة في تفكيكه وتقريب القارئ العربي منه، خاصة في ظل النقص الذي يكتنف تناول المفهوم داخل السوسيولوجيا على وجه الخصوص. ومنه تجيب الدراسة على مجموعة من الأسئلة لتعميق الفهم حول الحماية الاجتماعية أهمها:

-ما هو السياق التاريخي للحماية الاجتماعية؟
-ما هي تجليات اهتمام علماء الاجتماع بالحماية الاجتماعية؟
-ما هي التطورات التي عرفها المفهوم؟
-ما مدى مساهمة السوسيولوجيا في تطوير مقاربات الحماية الاجتماعية؟
-ما هي بوادر ظهور سوسيولوجيا الضمان الاجتماعي ؟
-ما هي أفاق تطوير آليات وأدوات التحليل في مجال الحماية الاجتماعية؟.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في مقاربة مفهوم الحماية الاجتماعية مقاربة تمزج بين التاريخ والسوسيولوجيا لتفكيك مضامينه وتجلياته ضمن سياق الإشكالات المجتمعية سواء المرتبطة بالمساعدة والتأمين الاجتماعين، وذلك في ظل همينة الدراسات الاقتصادية ودراسات التنمية على الموضوع، مما يمكننا من المساهمة في فتح مسارات بحث ذات راهنية في العلوم الاجتماعية بشكل عام.

أهداف الدراسة:

-الإحاطة بمفهوم الحماية الاجتماعية وأبعاده السوسيو تاريخية.

-تسليط الضوء على سيرورة تطور أنماط الحماية الاجتماعية على مر التاريخ.
-الكشف عن تعاريف الحماية الاجتماعية ومحدداته.
-تحديد الرهانات التي تنطوي عليها أنظمة الحماية الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة.
-إبراز مساهمة السوسيولوجيا في فهم ودراسة أنظمة الحماية الاجتماعية.

السياق التاريخي للحماية الاجتماعية:

إن التتبع التاريخي والرصد المنهجي والابيستمولوجي للحماية الاجتماعية هو محاولة معرفية للإحاطة بمختلف الأبعاد والتجليات التي رافقتها منذ بروز وتنوع أشكال التضامن في المجتمعات التقليدية، وصولا إلى المجتمعات الحديثة، وكذا مرورا بمجموعة من التحولات والسياقات التي واكبت تاريخ وتجربة المفهوم نظريا وإبستمولوجيا وسوسيولوجيا.

ارتبط ظهور الحماية الاجتماعية تاريخيا ببروز دولة الرفاهWelfare State في أوروبا في النصف الثاني من القرن19، كشكل من أشكال الدولة التي تسعى إلى توفير الخدمات الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين وتعزيزها على أساس مبادئ المساواة، تكافؤ الفرص والتوزيع العادل للثروة،لمواجهة الأزمات الفردية والعائلية(Briggs,1961, p.228). إذ ينظر على أن الرفاه، "نتاج قوى سياسية واقتصادية وهياكل اجتماعية ومعايير ثقافية على المستويات العالمية والوطنية والإقليمية"(Edgar & Russell, 1998, p6)؛ ومع توسيع الحقوق السياسية والمدنية لتشمل الحقوق الاجتماعية، جعل الدولة الفاعل الأساسي في حماية الأفراد من المخاطر (Labbé, 2018). والتي جاءت كرد فعل على "مشكلة العمل" أي مواجهة تهديد الصراع الطبقي عبر إحتواء ودمج الحركة العمالية، خاصة في ظل سيادة النظام الرأسمالي على وسائل الانتاج في تلك المرحلة، ومارافقها من مجموعة من االتحولات السوسيواقتصادية التي أفرزتها الثورة الصناعية(McLeod & Bywaters, 2000). مما ساهم في تأسيس أول نظام للتأمين الاجتماعي في ألمانيا من طرف المستشار بيسمارك، لتعزيز رفاهية جميع أفراد المجتمع؛ التأمين الصحي 1883، والتأمين ضد الحوادث المهنية 1884 والتأمين ضد العجز والشيخوخة 1889 ، لتليها فيما بعد انخراط دول أخرى في اعتماد هذا النوع من الأنظمة من قبيل بريطانيا، الدنمارك، فرنسا(Nezosi, (2016. p 9

وجاء تأسيس منظمة العمل الدولية سنة 1919والتي لعبت دورا كبيرا في الدفاع عن قضايا العدالة الاجتماعية للنساء وللرجال من خلال ظروف تسودها الحرية والعدل والأمن والكرامة الإنسانية(About the ILO, n.d.)، وذلك بعد سيرورة من الأحداث التي شهدها العالم في تلك المرحلة أبرزها الحرب العالمية الأولى. إذ تحيلنا إلى أطروحة هنري هتزفيلد، الذي يعتبر تاريخ الحماية الاجتماعية بمثابة" تاريخ التوتر والصراع"، حيث تتجلى أعنف المنافسات في السيطرة على قطاع يجلب لأولئك الذين يكرسون أنفسهم هيبة وسلطة (Thinking Social Protection, n.d.). الشيء الذي حرم فئات اجتماعية واسعة للاستفادة من التأمين الاجتماعي، ليأتي فيما بعد الاعلان العالمي لحقوق الانسان سنة 1948، لينقل الحصول على الحماية الاجتماعية من امتياز

إلى حق؛ خاصة في المادتين 22 و 23 اللتان توضحان أحقية كل فردفي المجتمع في الضمان الاجتماعي والعيش في مستوى يكفل له ولأسرته الصحة والرفاهية.

فالحماية الاجتماعية كما نفهمها اليوم ليست نتاجا للحداثة حسب مارسيل موس، بل هي ضرب من ضروب التبادل القائم على مبدأ الهبة والعطاء اللذان كان سائدين في المجتمعات الأرخية من خلال أشكال التضامن والتبادل الاقتصادي من قبيل: البوتلاش والكولا، كألية تجمع القبائل والعشائر والأسر وكذا الأمم لخلق التواصل والتأخي وتشكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التعاقد فيما بينهم(مارسيل موس 2014، ص13). وهو ما يجسد "التضامن الألي" عند دوركايم في المجتمعات التقليدية المبني على التشابه بين العناصر المكونة للمجتمع، والذي يعبر عن التكامل والتعاون الاجتماعي بين أعضائه(إيميل دوركايم, 1982، ص129)؛ مما ينتج نوعا من التلاحم والتماسك للجسم الاجتماعي.

من التضامن التقليدي إلى نظام الحماية الاجتماعية:

تبنى الباحثون في التاريخ والعلوم الاجتماعية مجموعة من النماذج والمعاييرلتحديدالمراحل السابقة لتطور المجتمعات، فالمؤرخون يؤكدون على أن أعظم ثورتين في تاريخ البشرية هما: الثورة الصناعية والزراعية، والتي أثرتا بشكل كبير على ثقافات الشعوب وظروفها الاقتصادية(Rabie, 2013, p15). في المقابل أفرز مسعى علماء الاجتماع إلى تفسير عواملالتغير الاجتماعي الذي رافق سيرورة تطور المجتمعات منذ مراحل تشكلها ، وفهم المنطق الذي يتحكم في تحولاتها الزمانية والمكانية إلى اتجاهين؛ الاتجاه الأول هو الإتجاه المادي: والذييعتبرأن الصراع بين الطبقات والمؤثرات الاقتصاديةهي محرك التاريخ؛ أما الاتجاه الثانيفيرجع حوافز التغير إلى الأفكار البشرية ومدى قدرة القيم والأراء أن تساهم في التحولات الاجتماعية(أنطوني غيدنز، 2005، ص71).

بالإضافة إلى ذلك تعد العلاقة التي تجمع بين الفرد والجماعةمن المحددات الأساسية لبنية وطبيعة المجتمعات الإنسانية، ويتجلى ذلك من خلال سيادة سلطة الجماعة على الفردلتوحيد وتقوية الروابط الاجتماعية في المجتمعات التقليدية،بينما اتسمت المجتمعات الحديثة ببروز الفردانية مكان الجماعة؛ إذ ستحول الحداثة البنية الاجتماعية التقليدية عن طريق استبدال المبادئ التعاونية والاندماجية للمجتمع بقيم ومبادئ التفرد والعقلنة لبناء المجتمع (Pigeassou & Pruneau, 1998,(p 2،ما سينتج عنه بروز أنماط جديدة من العلاقات الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق يؤكد سيرج بوغام على أن الإنتقال من المجتمعات البسيطة في تركيبتها إلى المجتمعات المعقدة اي الصناعية، والإنتقالأيضا من التضامن التقليدي إلى نظام الحماية الاجتماعية العامة؛يمكن أن يؤثر على جميع الروابط الي تربط الفرد بالمجتمع،وتساهم في تحريره من متطلبات أشكال الحماية التقليدية والإعتماد عليها بشكل أقلمن قبيل: الأسرة، الجماعة، المعتقدات والقيم المشتركة، الإثنية(Paugam, 2013, p. 50). إذ أصبح التضامن غير الرسمي

ذو طابع فردي، تجريدي، وكوني بفعل سيرورات التحول المجتمعي، في المقابل فإن هناك العديد من أشكال التضامن التقليدية التي لازالت قائمة داخل المجتمعات(Komter, 2004, p. 209). والخطاطة أسفله توضح هذه السيروة:

بناء على مسار تطور أشكال الحماية الاجتماعية اعلاه، فإن التضامن الاجتماعي أصبح تجسيدا سياسيا في ظل تحمل الدولة لمسؤولية تأمين مواطنيها ضد المخاطر والحالات الطارئة، بما في ذلك المرض، البطالة، الشيخوخة(Weale, 1990, (p. 477؛ لضمان تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية في توزيع الموارد على مواطنيها بغض النظر عن وضعيتهم الاجتماعية والمادية، والذي يتم تمويله من الضرائب العامة(Sachweh, 2016, p. 296). وتندرج هذه المسؤولية ضمن إطار الدولة الوطنية المتمثل في التوزيع العادل للثروات وتحقيق المساواة بين مختلف المواطنين في الولوج إلى الخدمات العامة، إلا هذا الشرط غالبا ما يتحقق في التجارب الديمقراطية الغربية. في المقابل فإن الأزمات السياسية والتحول الديمقراطي الذي يتطلب وقتا أكبر في الدول النامية أترثا بشكل سلبي على بناء وتأسيس أنظمة الحماية الاجتماعية العمومية،وتجاوز منطق الهبات والمساعدات الدولية الموسمية التي يصعب المراهنة عليها لتلبيةحاجيات الأجيال الحالية والمستقبلية.

الإهتمام السوسيولوجي بالحماية الاجتماعية:

إن التحولات التي شهدها العالم في مرحلة الستينيات من القرن العشرين والمتمثلة في سعي الدول الصناعية لبناء اقتصاد قوي، لتجاوز مخلفات الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقضايا تصفية الإستعمار بدول العالم الثالث من خسائر ماديةوبشرية، وإيلاء أهمية لتحسين ظروف عيش مواطانيها ضمن إطار دولة الرعاية الاجتماعية. برز الإهتمام السوسيولوجي فيدراسة أنظمة الحماية الاجتماعية بشكل نقدي والمساهمة في تطويرها، وهو ما تأتى سنة 1963، في المؤتمر الرابع عشر لعلم الاجتماع بالمكسيك كبداية لسيروة توجيه سهام البحث في مؤسسات الضمان الاجتماعي، ليليها فيما بعد كل من مؤتمر إيفيان سنة 1966، ومؤتمر فارنا سنة 1970 من طرف الجمعية الدولية لعلم الاجتماع؛ واللذان سمحا لوضع ومعالجة الإشكالات السوسيولوجية في مجال الضمان الاجتماعي لتطوير وجهات نظر جديدة، مما مكن العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية من تبادل أفكارهم ووضع الأسس الأولى لسوسيولوجيا للضمان الاجتماعي (Sigg, 1986, p. 284).

ومن بين المواضيع التي تحضى بأولوية في هذه الأخيرة نجد الصحة، والتي ساهمت فيها السوسيولوجيا بشكل عام في فهم وتطوير العديد من أنظمة الرعاية الصحية، ومدى استجابتها لتطعات الأفراد في الحصول على الخدمات الطبيةوكذا المساهمة في بناء وصياغة مخططات وسياسيات الرعاية الصحية . علاوة على ذلك تم دراسة سلوك المرضى، وظروف عمل الموارد البشرية داخل المستشفى؛ونخص بالذكر دراسات في إطار ما يعرف ب "سوسيولوجيا الطب" في مرحلة الستينيات بفرنسا ، مع باحثين أمثال Canguilem، Catrice – Lorey و Hatzfeld بعد إشرافهما من زاوية أخرى على دراسة معمقة للعلاقات بين الأطباء والدولة في إطار نظام الضمان الاجتماعي(Carricaburu&Ménoret, 2004,). تمهيدا لظهور سوسيولوجيا الصحة كعلم مستقل هدفه تلقين الأطباء المبادئ الأساسية لدراسة السلوك الإنساني، أو بعبارة أخرى إدراج الأبعاد الاجتماعية في الطب لتزويد مستخدمي الصحة بنظرة شاملة حول علاقة الصحة بالمجتمع(Annandale, et al., 2013).

بالإضافة إلى الصحة، تعتبر الشيخوخة من أبرز الظواهر خاصة في المجتمعات الصناعية، بما تشكله من تحدي للإهتمام بهذه الفئة من السكان التي لا تؤثر فقط على معاشات التقاعد ، ولكن أيضا على الرعاية الطبية والسكن والنقل(Sigg, 1885, p. 8). وتضمن البحث السوسيولوجي في هذا الإطار دراسة نمط الحياة وخصائص الظروف المعيشية لكبار السن، إذ حاولت العديد من الدراسات التي أجريت في مختلف البلدان إظهار مدى تمكين المنافع المقدمة من خلال معاشات الشيخوخة للمسنين من العيش الكريم، وفهم التأثيرات المتختلفة للتغير الاجتماعي على الفئات العمرية الأخرى(Settersten & Angel, 2011, p32).ما من شأنه فهم التطورات المستقبلية لكبار السن وأثر أنظمة الرعاية الاجتماعية على نمط عيشهم داخل المجتمع؛ وأخيرا فإن الهدف الأساسي من الضمان الاجتماعي هو محاربة الفقر، وضمان الحد الأدنى من مستوى المعيشة لمعظم الأفراد والأسر، وتلبية احتياجاتهم الأساسية في الحياة(Spicker, 2013).

إلا أن البحث السوسيولوجي أظهر أن الضمان الاجتماعي غير كافي لمكافحة الفقر الدائم من جهة، والذي له أسباب متعددة ومختلفة(Sigg, 1986, p289)، مما يطرح مجموعة من الإشكالات حسب كاستل؛هل يجب أن ندافع عن مفهوم الحماية الكونية الذي يوفر لجميع أفراد المجتمع تغطية ضمان اجتماعي كاملة؟ ضمان اجتماعي بالمعنى القوي للكلمة؟ هل تعني الحماية الاجتماعية إعطاء جميع الشروط للحصول على المواطنة الاجتماعية Citoyenneté Sociale، أو ضمان الحد الأدنى من الموارد لمنع الإقصاء التام للفئات الأكثر حرمانًا من السكان؟(Castel, 2008. p4).يرى كاستل في هذا السياق بأن هناك حاجة ملحة للحماية الاجتماعية حتى يظل أعضاء المجتمع ملزمين بعلاقات توافقية لتقوية الروابطالاجتماعية، كلما أصبح المجتمع أكثر فأكثر على حد تعبير نوربرت إلياس"مجتمع الأفراد، أو بصيغة أخرى فإن الحماية الاجتماعية هي الشرط الأساسي "لقيام المجتمع"(Elias, 1991).

ومن جهة اخرى يؤكد Perrinأن المساهمة في النظرية الاجتماعية للضمان الاجتماعي يمكن أن تتعرض للخطر بسبب اتساع نطاق البحوث التي لا تمنح الأولوية للمجتمعات، وتقديم القياسات والتماثلات الكافية على وجه الخصوص لإنتمائهم إلى نوع مشترك من المجتمعات الصناعية؛ كما يجب أن تحافظ النظرية العامة في الواقع على قيمتها التوضيحية، والتي تعتمد في النهاية على قدرتها على ترتيب وتوليف المحددات لمعظم الحالات المعينة التي تسعى إلى تفسيرها299 ,1967 p)(,Perrin.

في ضوء ما تقدم يمكن القول بأن السوسيولوجيا انتزعت حقها في دراسة إشكالات أنظمة الحماية الاجتماعية في المجتمعات الصناعية، في ظل اتساع نطاق أبعادها كالصحة، الشيخوخة، والتنظيمات خاصة في العلاقات التي تربط بين العمال ومرؤسيهم في توفيرالحماية والتأمين على ذواتهم. أما فيما يخص الشق المتعلق بالمساعدة الاجتماعية، فإن مختلف الدراسات ركزت على برامج التحويلات المالية التي أطلقتها مجموعة من المنظمات الدولية أبرزها البنك الدولي، بهدف الحد من ظاهرتي الفقر والهشاشة بدول العالم التالث؛ حيث شملت أمريكا اللاتينية ليصل صداها فيما بعد على كل من قارتي أسيا وأفريقيا. ما فسح المجال للدراسات الاقتصادية ودراسات التنمية لفرض هيمنتها على تقييمها وقياس أثرها على الساكنة في تحسين مستويات المعيش اليومي، بينما ظل انخراط الدراسات السوسيولوجية في هذه السيرورة ضعيفا مقارنة بموقعها ومناهج اشتغالها في الدول الصناعية.

تعريف الحماية الاجتماعية:

خلق مفهوم الحماية الاجتماعية نقاشا واسعا بين الباحثين في العلوم الاجتماعية منذ تسعينيات القرن 20، من حيث دلالاته ومضامينه باعتباره مفهوم "غير تابث ومرن" يمكن أن يعرف بشكل مختلف في سياقات معينة(521) .Standing,2007,p. و يشيرBrunoriو O'Reilly إلى أن الحماية الاجتماعية هي مجموعة من الإجراءات العامة التي تهدف إلى مواجهة هشاشة حياة الأفراد من خلال التأمين الاجتماعي، وتوفير الحماية من المخاطر والمحن على مدى الحياة ؛ عن

طريق المساعدة الاجتماعية ، وتقديم دعم مالي للفقراء وتمكينهم من خلال جهود الإدماج الاجتماعي التي تعزز قدرة المهمشين للحصول على التأمين الاجتماعي والمساعدة الاجتماعية(Brunori & O'Reilly, 2010, p. 11). أو بصيغة اخربحسب Nezosi فهي مختلف وسائل الإحتياط الجماعي التي تسمح للأفراد بمواجهة المخاطر والتحديات التي تساهم في انخفاض الموارد أوالزيادة في نفقات الحياة اليومية(Nezosi, 2016, p. 7).

وتحيل هذه التعاريف إلى أن الحماية الاجتماعية لها محددين أساسيين؛

-المساعدة الاجتماعية: تتمثل في تقديم المساعدات للأفراد على شكل مخصصات مالية مباشرة لمواجهة الهشاشة والإنخفاض في الدخل، أو على شكل خدمات عامة من في مجالات التعليم، الصحة، الأمن الغذائي..إلخ.
- التأمين الاجتماعي:يتجلى في حمايةالفئات الفقيرة والهشة من مخاطر :الشيخوخة ، المرض، الإعاقة، البطالة..إلخ، وذلك عنطريق الجمع بين الموارد و مساهمتهم في هذا النظام (Norton et al., 2001).

تؤكدWheeler و Waite في هذ السياق إلى أن هناك اتفاق على نطاق واسع في الممارسة العلمية على أن المساعدة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي عنصران أساسيان في الحماية الاجتماعية، بينما تنظر معظم الوكالات والمنظمات الدولية بأن الحماية الاجتماعية أكثر من مجرد حزمة تقليدية من الضمان الاجتماعي، مع ذلك فإنه لايوجد توافق بخصوص ما تشمله الحماية الاجتماعية على مستوى تنزيلها على أرض الواقع (Sabates-Wheeler & Waite, 2003, p 6). إذ ينظر بعض أصحاب القرار stakeholders إلى أن هذه الأخيرة بصورة محدودة وضيقة، كونها في الأساس التسمية الجديدة للرعاية الاجتماعية على النمط القديم؛ والتي تقدم إلى الفئات الضعيفة والهشة المحددة تقليديا(مثل الأشخاص ذوي الإعاقة، الأرامل، الأيتام) من ناحية، ومن ناحية أخرى يتبنى البعض الأخر مقاربة شمولية للحماية الاجتماعية تتضمن برامج التعليم الابتدائي الكونية والقروض الصغيرة وخلق فرص العمل، فضلاً عن شبكات الأمان والخدمات الاجتماعية للمجموعات التي قد تكون عرضة للصدمات والمخاطر.فالفرد ليس معطى بل هو بناء، والتاريخ الاجتماعي يبين بوضوح أن هذا البناء للفرد حديث مستقل أصبح ممكنا إلى حد كبير من خلال تعميم الحماية الاجتماعية، وبهذا المعنى يمكننا أن نتحدث عن البعد الاجتماعي والأنثروبولوجي للحماية الاجتماعية(Castel, 2008).

ويشير كل من Conway وFoster وNorton إلى أن المساعدة والتأمين الاجتماعييينيحيلان إلى حماية أولئك الذين يقعون مؤقتًا أو بثبات تحت مستويات العيش التي تُعتبر مقبولة؛ خصوصا وأن هناك تداخلات عدة بين الحماية الاجتماعية كمجال للسياسة والعمل ومختلف مقاربات البرامج التي تسعى إلى تقديم المساعدة إلى الفئات الأشد فقراً (الأمن الغذائي، وبرامج مكافحة الفقر المستهدفة ، والتغذية في حالات الطوارئ) أو التعامل معها لتعزيز سبل عيش الفقراء المنتجين والحد من الهشاشة(Norton et al., 2001, p 10). ويظهر هذا بشكل جلي في التحولات التي

عرفتها الحماية الاجتماعية في مرحلة التسعينيات من القرن الماضي، لاسيما في دول العالم الثالث على خلفية الأزمات الاقتصادية، وكذا تنامي ظاهرتي العولمة والهجرة بوصفها "فعل سياسي" الذي جاءكجواب على ارتفاع مستويات الهشاشة والحرمان والفقر والمخاطر الاجتماعية(Barrientos, 2010, p 2). وبالتالي أصبحت الحماية الاجتماعية تحتل جزءا مهما ضمن السياسات العمومية لهاته البلدان في تحقيق النمو والتطور على مختلف المستويات.

إن إختلاف رؤى الباحثين حول معاني ومحددات الحماية الاجتماعية راجع بالأساس إلى انخراط جزء مهم من الباحثين في دينامية برامج التنمية في البلدان السائرة في طور النمو، ما أفرز التركيز على أبعادها الإجرائية والتغير الاجتماعي المحتمل أن تحدثه على الفئة المستهدفة؛ أكثر من العودة إلى تاريخ أشكال التضامن الاجتماعية التقليدية باعتبارها امتدادا لأنماط الحماية الحديثة، رغم تباين الرهانات والأهداف التي تسعى كل جهة في تحقيقها. وبهذا ظلت التعاريف المستمدة من تقارير المنظمات الدولية هي الحاضرة بقوة، في أفق ظهور تيارات فكرية جديدة في العلوم الاجتماعية تدمج السياقات السوسيوتاريخية والاقتصادية والسياسية للحماية الاجتماعية.

أهم نتائج الدراسة:

توضح المقاربة السوسيوتاريخية لمفهوم الحماية الاجتماعية مدى اتساع دائرة المفهوم داخل حقل العلوم الاجتماعية، وتعدد مجالات فهمه وتفسيره، وفقا للإشكالات النظرية التي يطرحها في تحليل الظواهر الاجتماعية المرتبطة به داخل المجتمع، ومنه يمكن الإشارة لبعض نتائج الدراسة:

-ظهور مفهوم الحماية الاجتماعية لا يرتبط فقط بالتحولات التي أفرزتها الثورة الصناعية في أوروبا، بل تعود جذوره للمجتمعات الأرخية حيت تسود أشكال التضامن الاجتماعي التقليدية.
-على الرغم من بروز الفرادانية بشكل كبير في المجتمعات المعاصرة وسيادة التضامن الفردي، فإنه لا يعني بشكل من الأشكال اختفاء التضامن الجماعي؛ إذ أن هذا الأخير لا يزال قائما رغم بعض التغيرات التي تأثر بها بفعل ظاهرة العولمة.
-تحتل المقاربة السوسيولوجية أهمية كبرى في دراسة أنظمة الحماية الاجتماعية سواء من ناحية تفكيكها لمعرفة أدوارها والتحديات التي تواجهها، أو من ناحية إقتراح حلول عملية لتطوير سيرورة إشتغالها وتأثيرها في تحسين جودة الحياة بالنسبة للفئات الهشة والفقيرة.
-تعتبر كل من المساعدة والتأمين الإجتماعيين محددين أساسين في تعريف مفهوم الحماية الاجتماعية لدى مختلف الباحثين في العلوم الاجتماعية، والمستمدة أساسا من الدراسات الميدانية لبرامج التنمية التي تقودها المنظمات الدولية غير الحكومية.

-مأسسة سوسيولوجيا الضمان الاجتماعي في ثمانينيات القرن الماضي فتح أفاقا واسعة في مجالات البحث المرتبطة بها، مما يساهم في توسيع هذا الحقل نحو اتجاه تأسيس سوسيولوجيا الحماية الاجتماعية مستقبلا

خلاصة:

بناء على ماسبق يمكن القول بأن مفهوم الحماية الاجتماعية اخترق مختلف ميادين وتخصصات العلوم الاجتماعية(الاقتصاد، العلوم السياسية، التنمية..) ، وذلك وفقا لبنيته و أبعاده وعناصره نظريا وكذا عمليا في أجرئته في الواقع المعيش؛ مما دفع الباحثين السوسيولوجين للإنكباب على دراسات تهدف إلى فهم برامج الحماية الاجتماعية، ومقاربة مؤسسات الضمان الاجتماعي باعتبارها مؤسسات اجتماعية تستهدف فئات واسعة من شرائح المجتمع.مع الدفع نحو بناء نموذج نظري ابستمولوجي لا يركز فقط على سوسيولوجيا الضمان الاجتماعي بشكل جزئي، بل أيضا على مقاربة المساعدة الاجتماعية بشكل كلي، ضمن إطار توحيد هذا التراكم العلمي لأنماط وبنية دولة الرعاية الاجتماعية في المجتمعات الغربية و مجتمعات دول العالم الثالث مستقبلا في "سوسيولوجيا الحماية الاجتماعية" كفرع علمي من السوسيولوجيا العامة.

قائمة المراجع:

1.رايموند هينبوش، أدهم صولي. (2021). الدولة العربية: مقاربة سوسيولوجية تاريخية. مجلة عمران، العدد 37، المجلد العاشر، (ص 7-36).

2.سوبرت جيري. (2020). التاريخ والسوسيولوجيا: ما هي السوسيولوجيا التاريخية؟ (ترجمة محمد بوسرغين،الهنتي إلهام)،مركز نهوض للبحوث والدراسات.ترجمات.

3.إيميل دوركايم. (1982). في تقسيم العمل الاجتماعي،(ترجمة حافظ الجمالي)، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.

4.جون ديكسون, روبرت شيربل. (2014). دولة الرعاية الاجتماعية في القرن العشرين: تجارب الأمم المتقدمة في تكريم الإنسان،(ترجمة سارة الذيب)، الطبعة الأولى .الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

5.أنطوني غيدنز. (2005). علم الاجتماع، (ترجمة الكتور فايز بن الصياغ) ,الطبعة الأولى،المنظمة العربية للترجمة.

6.مارسيل موس. (2014). مقالة في الهبة: أشكال اتبادل في المجتمعات الأرخية وأسبابه(ترجمة محمد الحاج سالم) دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى.

7.About the ILO. (n.d.). Retrieved September 30, 2021, from https://www.ilo.org/global/about-the-ilo/lang--en/index.html

8.Annandale, E., Rabeharisoa, V., Scambler, G., Seale, C., & Umberson, D. (2013). Théorie sociologique et sociologie de la santé et de la

médecine dans les revues internationales. Sciences sociales et santé, 31(1), (pp. 13–35). Cairn.info. https://doi.org/10.3917/sss.311.0013

10.Barrientos, A. (2010). Social Protection and Poverty. Social Policy and Development, Programme Paper N 42, 49.

11.Briggs, A. (1961). The Welfare State in Historical Perspective. European Journal of Sociology / Archives Européennes de Sociologie, 2(2), (pp. 221–258). https://doi.org/10.1017/S0003975600000412

12.Brunori, P., & O'Reilly, M. (2010). Social protection for development: A review of definitions. European University Institute, Paper No 29495.Firenze, Italy.

13.Carricaburu, D., & Ménoret, M. (2004). Sociologie de la santé. Institutions, professions et maladies. Armand Colin. https://www.cairn.info/sociologie-de-la-santé--9782200262297.html

14.Castel, R. (2008). 4. Qu'est-ce qu'être protégé? La dimension socio-anthropologique de laprotection sociale. In Où va la protection sociale ? (pp. 101–117). Presses Universitaires de France. Cairn.info. https://doi.org/10.3917/puf.guill.2008.01.0101.

15.Dufour, F. G. (2016). La sociologie historique: Traditions, trajectoires et débats (1st ed.). Presses de l'Université du Québec. https://doi.org/10.2307/j.ctt1k3s914

16.Edgar, I. R., & Russell, A. (n.d.). The Anthropology of Welfare. Routledge, 275.

17.Elias, N. (1991). La Société des Individus ((1re éd. En allemand, 1987)). Fayard. https://www.fayard.fr/sciences-humaines/la-societe-des-individus-9782213022642

18.Komter, A. E. (2004). Social Solidarity and the Gift. Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CBO9780511614064

19.Labbé, M. (2018). De la philanthropie à la protection sociale en Europe centrale et du Sud-Est (fin du XIXe siècle-entre-deux-guerres). Revue d'histoire de la protection sociale, N° 11(1), (pp. 13–22).

20.McLeod, E., & Bywaters, P. (2000). Social Work, Health, and Equality. Psychology Press.

21.Nezosi, G. (2016). Protection Social. Documentation Francaise, Decouverte De La Vie Publique.

22.Norton, A., Conway, T., & Foster, M. (2001). Social protection concepts and approaches: Implications for policy and practice in international development. Overseas Development Institute.

23.Paugam, S. (2013). Le lien social: Vol. 3e éd. Presses Universitaires de France ; Cairn.info. https://www.cairn.info/le-lien-social--9782130620310.html

24.Perrin, G. (1967). Pour une théorie sociologique de la sécurité sociale dans les sociétés industrielles. Revue française de sociologie, 8(3), (pp.299–324). https://doi.org/10.2307/3320106

25.Pigeassou, C., & Pruneau, J. (1998). Regards sociologiques sur la dynamique du lien social dans les sociétés de joutes languedociennes. Corps et culture, Numéro 3, Article Numéro 3. https://doi.org/10.4000/corpsetculture.509

26.Rabie, M. (2013). Saving Capitalism and Democracy. Palgrave Macmillan US. https://doi.org/10.1057/9781137321312

27.Sabates-Wheeler, R., & Waite, M. (2003). Migration and Social Protection: A Concept Paper. Migration and Social Protection, T2, 62.

28.Sachweh, P. (2016). Social Justice and the Welfare State: Institutions, Outcomes, and Attitudes in Comparative Perspective (pp. 293–313). https://doi.org/10.1007/978-1-4939-3216-0_16

29.Settersten, R. A., & Angel, J. L. (Eds.). (2011). Handbook of Sociology of Aging. Springer New York. https://doi.org/10.1007/978-1-4419-7374-00

30.Sigg, R. (1885). Sociology and social security: A fresh approach. International Social Security Review, 38, (pp. 3–19). https://doi.org/10.1111/j.1468-246X.1985.tb00847.x

31.Sigg, R. (1986). The Contribution of Sociology To Social Security. International Sociology, 1(3), (pp. 283–295). https://doi.org/10.1177/026858098600100306

32.Spicker, P. (2013). Poverty and social security: Concepts and principles. Self-Published. http://hdl.handle.net/10059/890

33.Standing, G. (2007). Social protection. Development in Practice, 17(4–5), (pp.511–522).https://doi.org/10.1080/09614520701469435

34.Thinking social protection. (n.d.). Retrieved September 30, 2021, from https://calenda.org/294833

35.Weale, A. (1990). Equality, Social Solidarity, and the Welfare State. Ethics, 100(3), (pp. 473–488).